إطلاق " ما " الموصولة على العَالِم

الدكتور/ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العمار
قسم النحو والصرف وفقه اللغة ــ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة :

الحمد لله العالم بما تخفي الصدور ، المتصرف في جميع الأمور ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ما تعاقبت الشهور والدهور، أما بعد :

فإن مفردات اللغة لها مدلولات في أصل وضعها ، وكثرة الاستعمال تثبت دلك وتقويه ، وقلة الاستعمال تضعفه وربما تنفيه .

ومن هذه المفردات " ما " الموصولة ، حيث وضعت في الأصل على غير العالم كالجمادات والنباتات والدواب – من غير بني آدم – فهي بذلك تدل على شيء ، وهذا الشيء مسلوب صفة العلم أو العقل ، ونصوص اللغة من قرآن ، وسنة ، ونثر العرب وشعرهم ، دالة على هذا ومبينة له .

ولكن هذا الأصل قد يتغير في بعض النصوص فتقع " ما " على من يتصف بالعلم، وعلى من يعقل من بني آدم ، وهذا التغير لا يبطل الأصل ، ولا يخرم القاعدة ، وهو موضع خلاف بين النحويين ، وقد حاولت من خلال هذه السطور استجلاء مواقفهم ، بذكر أقوال أئمتهم وآرائهم .

وبعد انتهاء البحث عنونته بـــ(إطلاق " ما " الموصولة على العالِم).

أرجو أن أكون قد وفقت في بحث المسألة ، وعرض الآراء ، ومناقشتها ، والموازنة بينها ، واختيار الرأي الذي انتهيت إليه حسب ما يقتضيه الدليل والشاهد.

والله المعين وهو حسبي .

من المبهمات في العربية الموصول ، ويتبين إبهامه بالصلة ، والموصول قسمان : اسمي وحرفي ، والاسمي ضربان : خاص ومشترك ، والمشترك ستة أسماء هي : " مَن " و " ما " و " أل " و " أي " و " ذو " و " ذا " ، وحديثي مقصور على "ما " من جهة دلالتها ، فالمشهور عند أهل اللغة أنها لغير العاقل وقد تكون له وللعاقل بقرائن ومسوغات – كما سيأتي – .

وهنا سؤال مفاده هل تقع " ما " على من يعلم ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال تجدر مناقشة نص حديثي جاء فيه ما يشعر بعدم ذلك.

قال الآمدي (ت٤٦٧هـ) عندما ذكر شُبَه أصحاب العموم النَّصِّية :" أما النصية فمنها ... ومنها أنه لما أنزل قوله تعالى:﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** ﴾ [الأنبياء /٩٨] قال ابن الزبعرى(ت نحو ١٥هـ) :" لأخصمنَّ محمداً " ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :" وقد عُبدت الملائكة والمسيح ، أفتراهم يدخلون النار؟ " .

واستدل بعموم " ما " ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، بل نزل قوله تعالى غير منكر لقوله ، بل مخصصاً له بقوله تعالى :﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ [الأنبياء /١٠١]" [(١)].

ثم أجاب الآمدي عن هذه الشُبه بقوله:

" وأما قصة ابن الزبعرى فلا حجة فيها – أيضاً – ؛ لأن سؤاله وقع فاسداً حيث ظن أن " ما " عامة فيمن يعقل ، وليس كذلك ، ولهذا قال النبي صلى الله

---

(١) الإحكام ٢/ ١٨٦.

عليه وسلم منكـــراً عليه :" ما أجهلك بلغة قـــومك، أما علمت أن "ما" لما لا يعقل" [1].

وقصة ابن الزبعرى ذكرها الطبراني[2] (ت٣٦٠هـــ) والهيثمي[3] (ت٨٠٧هـــ) ، كما أوردها بعض المفسرين كالطبري [4] (ت٣١٠هـــ) والبغوي[5] (ت٥١٦هـــ) .

والزمخشري[6] (ت٥٣٨هـــ) وابن كثير[7] (ت٧٧٤هـــ) والشوكاني[8] (ت١٢٥٠هـــ) والواحدي(ت٤٦٨هـــ) في أسباب النزول [9] ، ولم يرد فيما ذكروه جميعاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ما أجهلك بلغة قومك...".

وقد نبه على عدم صحة هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ابن حجر (ت ٨٥٢ هـــ) — رحمه الله — فقال :" اشتهر في ألسنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه القصة لابن الزبعرى : ما أجهلك بلغة قومك ، فإني قلت:" وما تعبدون " وهي لما لا يعقل ، ولم أقل : ومن تعبدون اهـــ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) المـــرجع نفســـه ١٩٦/٢ وينظـــر ٣٤/٣ وحاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٣/١ حيث قال الصبان": هذا إن صح كان نصاً في المسألة".

(٢) المعجم الكبير ١٢/ ١١٨ و١١٩ برقم ١٢٧٣٩.

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ٦٨و٦٩.

(٤) جامع البيان ١٦/ ٤١٧ و ٤١٨.

(٥) معالم التزيل ٣٥٦/٥و ٣٥٧.

(٦) الكشاف ١٣٥/٣و ١٣٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٥٩٩/٤و ٦٠٠.

(٨) فتح القدير ٤٣١/٣.

(٩) ص ١٧٥.

وهو شيء لا أصل له ، ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند "[1].

وإذا تبين لنا عدم صحة هذه الرواية من عالم نذر نفسه لخدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجدر بنا قبول ذلك ، والبحث عن دلالة " ما " عند أهل اللغة .

فأقول – وبالله التوفيق- قال سيبويه (ت ١٨٨هـ) :(وما مثلها – أي مثل مَنْ- إلاّ أن " ما " مبهمة تقع على كل شيء "[2].

وأما المبرد (ت ٢٨٥هـ) فكرر الحديث عنها في مقتضبه[3]وبين أنها تقع على ذات غير الآدميين كالفرس والحمار والمال والبر ، وعلى صفات الآدميين كالشرف والوضاعة والطول والقصر .

كما بين أنها قد تقع على الآدميين بشرط كون الحديث عن الجنس كالرجل أو تجعل الصفة في موضع الموصوف كأن تقول : أرأيت ما عندك ؟

فيقال : رجل أو عاقل أو حليم ، ولا يقال : زيد ولا عمرو لعمومها وإبهامها.

وبين الفراء[4] (ت ٢٠٧هـ) أن العرب لا تكاد تجعل " ما " للناس ، وعليه فتقول : إنما ضربت أخاك بالنصب ، ولا تقل :" أخوك " بالرفع ؛ لئلا يكون المعنى : إن الذي ضربت أخوك ، فتقع " ما " على الأخ ، فإذا أريد بالكلام الذي بعد " ما " وصلتها غير الناس جاز الوجهان فتقول : إنما سكنت دارَك ، بالنصب أو "دارُك" بالرفع.

---

(١) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٦/٣.

(٢) الكتاب ٣٠٩/٢.

(٣) المقتضب ٤١/١و٤٨ ، ٥٢/٢و٢٩٦ ، ٦٣/٣ ، ١٨٥/٤و٢١٧و٢١٨.

(٤) معاني القرآن ١٠٢/١ وانظر معاني القرآن للأخفش ٢١٤/١و٢١٥.

إلا أن الفراء استدرك فقال:" وقد تجعل العرب " ما " في بعض الكلام للنـــاس، وليس بالكثير ، وفي قـــراءة عبد الله ﴿والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى﴾ [1] [الليل/ ٢و٣] وفي قراءتنا ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ فمن جعل " ماخلقَ " للذكر والأنثى جاز أن يخفض " الذكر والأنثى " كأنه قال : والذي خلق الذكر والأنثى[2]، ومن نصب " الذكر " جعل " ما " و " خلق " كقوله : وَخَلْقه الذكرَ والأنثى ، يوقع " خلق " عليه ، والخفض فيه على قراءة عبد الله حسنٌ ، والنصب أكثر "[3].

وأشار الأخفش(ت ٢١٥هـــ) إلى أن " ما " لغير العاقل[4]، إلا أنه أوقعها على الإنسان فقال في قوله تعالى :﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ [التين/ ٧]: " جعل " ما " للإنسان وفي هذا القول يجوز : ما جاءني زيدٌ ، في معنى : الذي جاءني زيد "[5] .

قال أبو جعفر النحاس(ت ٣٣٨هـــ) :" وزعم الفراء والأخفش أن المعنى : فمن يكذبك بعد بالدين ، قال أبو جعفر : وهذا لا يعرج عليه ،ولا تقع " ما " بمعنى " مَن " إلا في شذوذ "[6] .

وقال ابن قتيبة(ت ٢٧٦هـــ):" "ما" لغير العاقل تقول: ...و ما مرَّ بك من الإبل " [7] .

---

(١) ينظر المحتسب ٢ / ٣٦٤.

(٢) أي على البدلية من محل " ما ".

(٣) معاني القرآن ٢/١٠٢ وانظر ص٢٥٣ و٢٥٤ و٣/ ٢٧٠.

(٤) معاني القرآن ١/٣٧ و ٥٩ و ٢/ ٤١٦.

(٥) معاني القرآن ٢/٥٨١.

(٦) إعراب القرآن ٣/٧٣٦ وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٧.

(٧) تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٣.

وممن فسر " ما " بـ " مَنْ " أو بـ" الذي " وهي للعالم أبو عبيدة[1] (ت٢١٠هـ) ومكي[2](ت ٤٣٧هـ) وابن خروف (ت ٦٠٩هـ) الذي نص على أنها عند سيبويه والمحققين بمنزلة " الذي " و " التي " تقع على ما لا يعقل ، ومن يعقل ووافقهم على ذلك ، مما حدا بأبي حيان إلى القول " وإطلاقها على آحاد من يعقل هو مذهب أبي عبيدة وابن درستوية(ت٣٤٧هـ) ومكي بن أبي طالب ، ومن متأخري أصحابنا الأستاذ أبو الحسن بن خروف ، وزعم أنه مذهب سيبويه "[3] .

وابن خروف عزا ذلك إلى سيبويه ؛ لأن عبارة سيبويه عامة تقبل فهم ابن خروف فهو يقول :" ما " مبهمة تقع على كل شيء " .

واستدل من يرى وقوع " ما " الموصولة على العالم بعدة أدلة من القرآن الكريم وغيره ، وقد تكفل الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة[4] بجمع الآيات القرآنية التي وقعت فيها " ما " على العالم فأربت على ستين آية ، وسأذكر نماذج من تلك الآيات والشواهد يتبين من خلالها موقف القائلين بإمكان وقوع " ما " على العالم .

قال تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس/ ٥ -٧].

---

(١) مجاز القرآن ٢/٣٠٠و٣٠١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/٤٧٨و٥٠٦.

(٣) التذييل والتكميل ٣/١٢٩.

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ ج٣ ص٤٣-٥٠ ، هذا وقد أفرد الشيخ لـ" ما " المحتملة للمصدرية ولاسم الموصول مبحثاً خاصاً ص٥١-٥٦.

و قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [الليل/ ٣].

و قال تعالى:﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون/ ٣و٥].

وقال تعالى :﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ [الزمر/ ٨].

فـ " ما " في هذه الآيات الست واقعة على " الله " ؛ لأنه هو الذي بنى السماء ، وطحا الأرض ، وسوى النفس ، وخلق الذكر والأنثى ، وصرف إليه الرسول صلى الله عليه وسلم عبادته ، ودعاه الإنسان عند الضر .

وقال تعالى :﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص / ٧٥] فـ " ما " أطلقت على نبي الله آدم – عليه السلام ، وقال تعالى :﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران /٣٥] .

قال تعالى :﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء/ ٣].

و قال تعالى :﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون /٦ والمعارج / ٣٠].

و قال تعالى:﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ [الشعراء / ١٦٥و١٦٦].

فـ" ما " في الآيات الأربع أطلقت على الأناثي من بني آدم وحكى أبو زيد (ت٢١٤هـ)" سبحان ما سبح الرعد بحمده وسبحان ما سخركن لنا[1] ".

والمعنى : مَن سبح الرعد بحمده ومن سخركن لنا ، وهو الله جلّ وعلا .

---

(١) ينظر المقتضب ٢/ ٢٩٦ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٥و٦.

هكذا يرى القائلون بإطلاق " ما " على العالم ومنهم الفراء وأبو عبيدة والأخفش وابن درستويه وابن خروف الذي نسب هذا القول إلى المحققين ومنهم سيبويه .

إلا أن المانعين تأولوا تلك النصوص بتأويلات مختلفة يخرج منها القارئ بالشروط التي أجازوا بها وقوع " ما " على العالم وربما حملوا " ما " على المصدرية وهو الأكثر .

فآيات " الشمس" حملت على المصدرية على تقدير : والسماء وبنائها ، والأرض وطحوها ، والنفس وتسويتها ، فراراً من إيقاع " ما " على العالم ، بل إن المبرد قال : إن هذه مصادر وإن دلت على غيرها ممن يملك ، وألمح إلى أن هذا الوجه هو الذي عليه النحويون دون الأول[1] .

وفي آية " الليل " قيل كذلك[2] أي : وخلقه ، وكذا الأمر في آيتي " الكافرون " أي : عبادتي[3] ، وقيل : من قبيل المشاكلة[4] أو لجهلهم بالله أو لمخالفتهم رسول الله[5] .

وكذا في آية الزمر إذ قدروا : نسي دعاءه إلى الله من قبل[6] ، وفي آية " ص " رأى السهيلي(ت٥٨١هـ) أن الموضع لـ " ما " لا لـ " مَن " للدلالة على أن تكبر إبليس وعدم سجوده لمخلوق مثله غير مقبول ، إذ التكبر للخالق وحده ، فوبخه الله وبكته بسبب عصيانه وتكبره على ما لم يخلقه وإنما تولى خلقه

---

(١) المقتضب ٢/٥٢.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/١٠٢.

(٣) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١/١٧٤ .

(٤) ينظر نتائج الفكر ص١٨٤ والتذييل والتكميل ٣/١٣١.

(٥) ينظر نتائج الفكر ص ١٨٣.

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٦.

رب العالمين ، لذا شَرُف وأُمِرَتْ الملائكة بالسجود له، فسجدتْ وعصى إبليس ولو قيل : " لمن خلقت " لكان استفهاماً مجرداً من التوبيخ والتبكيت ، ولتوهم أن الأمر بالسجود لآدم بسبب كونه عاقلاً أو لعلة في ذاته وعينه ، وليس الأمر كذلك[1].

أو تحمل على المصدرية والمعنى : ما منعك أن تسجد لخلقي ، أي : لمخلوقي[2].

وآيه " آل عمران " حملت على الإبهام فما في بطن مريم - عليها السلام - غير معلوم أذكر أم أنثى[3] ؟

وآيات " النساء " و " المؤمنون " و " الشعراء " حملت على أنواع من يعقل[4].

وحكاية أبي زيد حملت فيها " ما " على المصدرية الظرفية والمعنى : سبحان الله مدة تسبيح الرعد ومدة تسخيركن[5].

مما تقدم يتبين أن بعض المانعين لا يمنعون مطلقاً ، وإنما لهم شروط ومعايير إذا وجدت فـ" ما " عندهم تقع على العالم ، لكن لا يقصد إلى ذلك قصداً ، فإن جاء ما ظاهره ذلك حملت " ما " على المصدرية أو على محمل آخر يلحظ من المقام أو من السياق والقرائن.

---

(١) نتائج الفكر ص ١٨٢.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١٠٢/١.

(٣) ينظر تعليق الفرائد للدماميني ٢٥٤/٢.

(٤) ينظر التذييل والتكميل لأبي حيان ١٣٣/٣ وأوضح المسالك ١٥٠/١ وشرح الجمل لابن عصفور ١٧٣/١.

(٥) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١٧٤/١ والتذييل والتكميل ١٣٠/٣.

وقد سبق ذكر شرطي المبرد لوقوع " ما " على العاقل وهما : إرادة الجنس ، أو قيام الصفة مقام الموصوف.

وابن مالك(ت٦٧٢هـ) يقول :" و" ما " في الغالب لما لا يعقل وله مع من يعقل ولصفات من يعقل وللمبهم أمره[١] ".

وأبو حيان(ت٧٤٥هـ) يقول :" والذي صححه أصحابنا أن " ما " لا تقع على آحاد أولي العلم إلا في موضعين : أحدهما : الاستثبات عمن يفعل والآخر : الاستفهام عن صفات من يعقل[٢] " وفي موضع آخر يقول:" وأبى أصحابنا ذلك وتأولوا ما استدل به المخالف[٣] ".

وقد أخذ أبو حيان[٤] على ابن مالك قوله : ولصفات من يعقل ، وقال: إنها عبارة الفارسي[٥](ت٣٧٧هـ) ، أما أصحاب أبي حيان فعبروا عن ذلك بأنواع من يعقل والغريب أن أبا حيان استعمل صفات من يعقل في الموضع الثاني من النص السابق .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأصحاب أبي حيان هم البصريون كسيبويه والمبرد ومن سار على نهجهم كالزجاج(ت٣١٠هـ) وابن السراج(ت٣١٦هـ) والزجاجي(ت٣٣٧هـ) والفارسي وابن جني(ت٣٩٢هـ) وغيرهم ، وكأني بأبي حيان يرمي إلى المذهب البصري لا إلى كل بصري بعينه ؛ لأن البصريين ليسوا على درجة

---

(١) التسهيل ص ٣٦.

(٢) التذييل والتكميل ١٣٢/٣.

(٣) المرجع السابق ١٢٩/٣.

(٤) المرجع السابق ١٣٣/٣.

(٥) ينظر البغداديات ص ٢٦٣.

واحدة في هذه المسألة ، فسيبويه فهم ابن خروف من نصه أنه يرى وقوع "ما" على آحاد أولي العلم ، والزجاج حمل آيات سورة الشمس وآية سورة الليل على المصدرية وبدأ به ثم قال : وقيل :" معنى " ما " هاهنا معنى " مَن " المعنى : والسماء والذي بناها ... فأقسم الله – عز وجل – بهذه الأشياء العظام من خلقه ، لأنها تدل على أنه واحد ، والذي ليس كمثله شيء" [1].

فالزجاج لم يعترض على الموصولية وإنما أورد ذلك بصيغة التمريض "وقيل".

وابن السراج[2] يتابع المبرد وينقل كلامه .

والزجاجي يقول :" فأما " ما " فإنها تقع على ما لا يعقل "[3].

والفارسي[4] يحمل " ما " على " مَن " ويبدأ به ثم يقول : ويجوز أن تكون بمعنى المصدر ، ويتابع المبرد وابن السراج .

وابن جني يترع مترعاً غريباً ، ويرتكب شططاً ، إذ رأى أن المؤنث إذا قيس بالمذكر تنحط درجته ، فالمرأة بالنسبة إلى الرجل مال أو متاع .

وإليك نص كلامه قال :" قوله عزَّ اسمه : ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون /٦ والمعارج /٣٠] وقوله :﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ [الشعراء / ١٦٥و١٦٦] ونحو

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢/٥.

(٢) ينظر الأصول ١٣٥/٢و١٣٦.

(٣) الجمل ص١٢ وينظر شرح الجمل لابن خروف ٢٩١/١.

(٤) ينظر البغداديات ص ٢٦٥.

ذلك ، يجوز أن يكون إنما وقعت " ما " هاهنا على من يعقل من حيث كان مؤنثاً ، وليست للمؤنث عصمة المذكر ، فكأن المرأة لتأنيثها - بالأضافة إلى الرجل بتذكيره — مال أو متاع ، ألا ترى إلى قوله سبحانه :﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة /٢٢٣] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم " المرأة ضلع عوجاء"(١) وهذا وإن كان مثلاً فقد أُشِمَّ رائحةً مما نحن عليه ؛ لأنه عفي عنها كما يعفى عن البهائم ، وكذا قولهم : " المرأة لحم على وَضَم (٢) " وهذا ونحوه مما يكاد يخرج به المؤنث عن تمام العقل واستحكامه ، ولم يذكره أحد من أصحابنا ، وفيه ما تراه من صحة معناه "(٣).

انتهى كلام ابن جني ، وكأني به يشير — أيضاً — إلى مثل قوله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء /٣٤].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٤) ".

---

(١) يشير إلى حديث " إن المرأة خلقت من ضلع..." ينظر صحيح مسلم كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء ٦١-٦٢ ص ٥٥٥.

(٢) الوَضَم ، محركة : الخشب أو الحصير وكل ما يوضع عليه اللحم دون الأرض ، وجاء في اللسان "وضم":- (وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :" إنما النساء لحم على وضم إلا ما ذبَّ عنه") ، ومنه أخذ المثل : إن النساء لحم على وضم .
ينظر مجمع الأمثال للميداني ١٩/١.

(٣) الخاطريات ص ٥١.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب ١٧ ص ٥٥٥ رقم ٥٩ (١٤٦٧).

وقوله : " ... ومـــا رأيت من ناقصات عقـــل ودين أغـــلبَ لذي لُبٍّ منكن ... [1] " .

وهذه النصوص وإن كان فيها رفعة للرجل فلا يؤخذ منها دونية المرأة إلى حد المتاع الساقط ، والمال المبتذل في أيدي الرجال ؛ لأن الإسلام كرم المرأة وأعلى شأنها ، بعد أن كانت في الجاهلية معدودة من سقط المتاع ، وعليه فهذه النصوص وأمثالها لا تخرج المرأة من دائرة العقلاء ، أو تحط من قدرها ، فللرجل خصائصه ، وللمرأة خصائصها ، فإن ضعفت في جانب قويت في آخر ، "والنساء شقائق الرجال [2] ".

والحمد لله أن أحداً من أصحابه قبله لم يذكره ؛ لأن ما ذكره نكتة غير محمودة .

وقد تأسى الزمخشري بابن جني فقال:" " ما طاب " ما حلّ ... وقيل " ما " ذهاباً إلى الصفة ؛ ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ " [النساء/٣] [3].

ولم يرتض أبو السعود(ت٩٨٢هـ) هذا فقال:" " ما " موصولة أو موصوفة ما بعدها صلتها أو صفتها أو ثرت على " من " ذهاباً إلى الوصف وإيذاناً بأنه .

المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن ، وقرأ ابن أبي عبلة " من طاب" " [4].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ٣٤ رقم ١٣٢.

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة باب في الرجل يجد البلة في منامه ٦١/١ ومسند الإمام أحمد الحديث رقم ٢٦٧٢٥ ص ١٩٤٧ .

(٣) الكشاف ١/ ٤٦٧.

(٤) إرشاد العقل السليم ٦٤٣/١.

وقراءة ابن أبي عبلة و إن كانت شاذة مرجح لإرادة " مَن " وصحة وقوع "ما " على العالم .

وأبو جعفر النحاس [1] يرى أن " ما " لا تقع بمعنى : " مَن " إلا في شذوذ ، ووجه ما رأى أنه مخالف لذلك فقال في قوله تعالى :﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء /٣] " يقال : كيف جاءت" ما " للآدميين؟

ففي هذا جوابان : قال الفراء [2]:" ما " هاهنا مصدرية وهذا بعيد جداً ، لا يصح فانكحوا الطيبة ، وقال البصريون :" ما " تقع للنعوت ، كما تقع " ما " لما لا يعقل، يقال : ماعندك؟

فيقال : ظريف وكريم ، فالمعنى فانكحوا الطيب من النساء ، أي : الحلال ، وما حرمه الله فليس بطيب " [3].

وقال في قوله تعالى :﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران /٣٥].

" منصوب على الحال ، وقيل : هو نعت لمفعول محذوف ، أي : نذرت لك ما في بطني غلاماً محرراً ".

ففي آية " النساء " استبعد حمل " ما " على المصدرية ، وكأنه ارتضى قول البصريين بإطلاق " ما " على صفات من يعقل .

وفي آية " آل عمران " رجح الحالية ، وذكر النعت وقدر المنعوت ، وهو " غلام " والغلام من العقلاء .

---

(١) إعراب القرآن ٣/٧٣٦.

(٢) ينظر معاني القرآن ١/٢٥٣و ٢٥٤.

(٣) إعراب القرآن ١/٣٩٣.

والمتأمل في آية آل عمران يتبين له وقوعها على العاقل ذكراً كان أو أنثى فما في البطن لن يخرج عن هذين النوعين ، والحمل على الإبهام كما أومأ إليه الدماميني(ت٨٢٧هـ) بقوله :" المراد أنها جعلت ما في بطنها وثمرة فؤادها خادماً للمسجد ، و لم تقصد إذ ذاك ذكورته من أنوثته "[1] ضرب من التأويل لا يمنع الحمل على الظاهر، كيف والله يقول :﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ [آل عمران /٣٦]؟

ولو قال قائل : إن ما في البطن لا يُدْرك فهو داخل في عداد غير العقلاء ، لقيل له: أنت مدع ومطالب بالدليل ، ولا أحد من العقلاء يقول بهذا ، فالصغير غير المميز لا يكلف ، لكن لا يخرج من دائرة العقلاء ، وهو من بني آدم الذين كرمهم الله بالعقل كما قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء /٧٠].

قال ابن كثير :" يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ... وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به "[2].

والسهيلي هداه فكره إلى ملاحظ بلاغية صرف بها " ما " عن العالِم في بعض النصوص التي استشهد بها المجيزون فقال:" فإن قيل : أليس قد وقعت على ما يعقل في مواضع من القرآن وكلام العرب خلافاً لما نصَّ عليه النحويين كقوله تعالى :﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص/٧٥] وكقوله سبحانه :﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [الشمس /٥] وكقوله :﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون / ٣و٥] قلنا : هي في كل هذا على أصلها من الإبهام والوقوع على الجنس العام ، لم يُرَد بها ما يُرَاد بـ" مَن " من التعيين لما يعقل والاختصاص به

---

(١) تعليق الفرائد ٢/٢٥٤ وتنظر حاشية على التصريح ١/١٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٢٨.

دون غيره ، ومن فهم جوهر الكلام عرف ما نقوله ، واستبـــان له من الحق سبيله "[1].

ثم شرع في الحديث عن الآيات الثلاث ، وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره في آية ص .

أما آية الشمس فقال عنها :" لأن القسم تعظيم للمقسَم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث بَنَى وأظهر هذا الخلق العظيم الذي هو السماء ، ومن حيث سواها بقدرته وزينها بحكمته ، فاستحق التعظيم وثبتت له القدرة كائناً ما كان هذا المعظم ، فلو قال:" مَن بناها " لم يكن في اللفظ دليل على استحقاقه للقسم به من حيث اقتدر على بنيانها ولكان المعنى مقصوراً على ذاته ونفسه دون الإيماء إلى أفعاله الدالة على عظمته المنبئة عن حكمته ، المفصحة لاستحقاقه التعظيم من خليقته "[2].

بل إنه وصف القائلين بأن " ما " مصدرية بالجهالة ، وعدم التوفيق لصناعة النحو، وعدم الرزق لفهم التأويل[3].

وذكر في آية " الكافرون " ثلاثة أوجه إثبات أن " ما " على بابها[4]

الأول : جهلهم بمعبود الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كانوا يظنون أنهم يعبدون الله .

الثاني: اشتهاؤهم مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم حسداً له وأنفة من اتباعه ، فهم لا يكرهون ذات المعبود وإنما يكرهون اتباع الرسول وإن كان معبوده هو الحق سبحانه.

كتابخانه ومركز اطلاع رسانى
بنياد دايرة المعارف

(١) نتائج الفكر ص ١٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢.

(٣) المـــرجع الســـابق ص١٨٣ ، وســـبق أن المبرد يقول : حمل " ما " على المصدرية هو الذي عليه النحويون المقتضب ٥٢/٢.

(٤) نتائج الفكر ص١٨٣ و ١٨٤.

الثالث : أن هذا النص محمول على ازدواج الكلام ومقصود فيه المشاكلة ، فاستوى اللفظان وإن اختلف المعنيان .

وحَرص السهيلي على المعاني التي جادت بها قريحته وربط بينها وبين لفظ " ما" فقال :" " ما " اسم مبهم في غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شيء[1] وتقع على ما ليس بشيء ؛ ألا ترى أنك تقول : إن الله عالم بما كان وما لم يكن ، وما لم يكن معدوم ، والمعدوم ليس بشيء ، فلفرط إبهامها لم يجز الإخبار عنها حتى توصل بما يوضحها ... ولا يجوز أن توجد إلا واقعة على جنس تتنوع منه أنواع ؛ لأنها لا تخلو من الإبهام أبداً ولذلك كان في لفظها ألف آخرة ، لما في الألف من المد والاتساع في هواء الفم ، مشاكلة لاتساع معناها في الأجناس ، فإذا أوقعوها على نوع بعينه ، وخصوا ما يعقل وقصروها عليه أبدلوا الألف نوناً ساكنة فذهب امتداد الصوت ، وصار قصراً للفظ موازناً لقصر المعنى "[2].

ولي مع كلام السهيلي السابق وقفات :

الوقفة الأولى : وصفه القائلين بأن " ما " مصدرية في الآيات التي أوردها بالجهل، وعدم الفهم ، وعدم التوفيق لصناعة النحو .

وهذا وصف لا مسوغ له ، وغير مقبول ؛ لأن الرأي لا يخطأ برأي آخر ، والقائلون بأن " ما " مصدرية علماء لهم مكانتهم ، ومنهم من هو متقدم على السهيلي ، والحق أن الفضل للمتقدم .

وكان الأجدر بالسهيلي أن يبتعد عن مثل هذه الكلمات الجافية والنابية في حق إخوانه من العلماء ، وكان في غنى عن ذلك لو وصف الرأي المخالف بالبعد مثلاً.

---

(١) هذا قول سيبويه ينظر الكتاب ٣٠٩/٢.

(٢) نتائج الفكر ص ١٨٠و١٨١.

الوقفة الثانية : قوله : إن الألف في " ما " فيها مد واتساع في هواء الفم مشاكلة لاتساع معناها في الأجناس ... إلخ .

وهذا اجتهاد منه ، وقال بمثل هذا في " لن " و " لا " فرأى أن "" لا " لام بعدها ألف يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضييق النفس فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، و" لن " بعكس ذلك " [1].

وأقول : الضميران " أنا " و " نحن " الثاني منهما أعم من الأول مع أن الأول فيه ألف يمتد بها الصوت عند الوقف وفي الضرورة ، وفي لغة من يثبتها وصلاً ووقفاً[2] ، فالقاعدة – كما يظهر – غير مطردة.

الوقفة الثالثة : قوله : ولفرط إبهامها لم يجز الإخبار عنها حتى توصل بما يوضحها ... إلخ .

هذا اعتراف منه بأن تفسيرها كامن في صلتها ، والصلة قد تكون لغير العالم وقد تكون للعالم – كما مرَّ في النصوص السابقة .

الوقفة الرابعة : قوله : ولا يجوز أن توجد إلا واقعة على جنس تتنوع منه أنواع ... إلخ .

هذا قول فيه نظر من جهة إطلاقه وعمومه ، فمن النصوص السابقة ما جاءت فيه " ما " على غير ما ذكر السهيلي ، وإن كان سيؤولها وفق مراده ، أقصد آيتي

" الكافرون " وآية " آل عمران " وآية " ص " مثلاً.

الوقفة الخامسة : لقد نظر السهيلي إلى مبدأ التعظيم عند تفسيره لقوله تعالى

---

(١) نتائج الفكر ص ١٣١ .

(٢) ينظر : الكتاب ٢٧٩/٢ وسر الصناعة ٧٢١/٢ وارتشاف الضرب ٢٧٢/٣و٢٧٣.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ وأن الصنعة العظيمة تدل على صانع عظيم ، وهذا كلام جيد لا مراء فيه ، ولكنه ليس بلازم على كل حال ، وما المانع من توجيه التعظيم إلى الصانع مباشرة في بعض المواطن ؟!

الوقفة السادسة : قوله : إن الموضع لـ" ما " لا لـ " مَن " في قوله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ للدلالة على عدم قبول تكبر إبليس ... إلخ.

لا شك أن المقام مقام إنكار وتوبيخ لإبليس اللعين ، ولكن لماذا ينصرف المعنى إلى هذا وحده ؟ وقد قال الله تعالى في آية أخرى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه / ١١٦و١١٧].

فذكر آدم – عليه السلام – مرتين ، وأخبر أنه عدو له ولزوجه "حواء" وأظهر المقصود بـ" ما" وهو "آدم" – عليه السلام – والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

الوقفة السابعة : إصراره على التماس معنى يخرج " ما " من وقوعها على العالم في قوله تعالى :﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ فالجهل بالمعبود ، واشتهاء مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وازدواج الكلام ، ثلاثة أوجه ارتضاها السهيلي ، والذي أراه أن قوله في الوجه الثالث " فاستوى اللفظان – " ما تعبدون " ، " ما أعبد " – وإن اختلف المعنيان " دليل على أن الجهل بالمعبود ، واشتهاء مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم معنيان من المعاني الواردة في تفسير " ما " وليسا القول القاطع في ذلك بدليل أن السهيلي لجأ إلى ازدواج الكلام

وطلب المشاكلة ، ووصف من يحمل " ما " على المصدرية بالجهل ، ولو أنه حمل الآية على ظاهرها – إذ لا مانع – لكان قولاً متجهاً .

قال ابن كثير :"﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ وهو الله وحده لا شرك له، فما هاهنا بمعنى " مَن " ثم قال : ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أي : ولا أعبد عبادتكم ، أي : لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه "[1].

وبعرض ما تقدم يمكن الخروج بالتصور الآتي :

١- أصل وضع " ما " على الإبهام ، لذا قال سيبويه :" ما مبهمة تقع على كل شيء ، وعبارته هذه فيها عموم جعل أكثر من جاء بعده يحملها على أن " ما " لا تقع إلا على غير العالم ، وجعل بعضهم كابن خروف يرى أن سيبويه يرى وقوع " ما " على العالم .

٢- من النحويين من يرى عدم وقوع " ما " على العالم ، وإذا جاء من ذلك شيء التمس له مخرجاً وهم الفئة الكثيرة ، ويليهم من يجيز وقوعها على العالم بالتأويل .

٣- من النحويين من يرى جواز وقوع " ما " على العالم ، وأنها بمعنى " مَن" من غير تأويل وهم الفئة القليلة .

٤- من النحويين من رأى أن حمل " ما " على " مَن " شاذ ، وهو أبو جعفر النحاس .

٥- من النحويين من ذهب به التأويل إلى إخراج الإناث من بني آدم من دائرة العقلاء وهو ابن جني وتابعه الزمخشري ، وأرى أن هذا بدع من القول ، وإجحاف في حق شقائق الرجال .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٩٢/٧.

٦- من النحويين من وَسَم من يحمل " ما " على المصدرية في بعض النصوص بالجهل وعدم التوفيق ، وهو السهيلي ، وقوله هذا غير مرغوب فيه .

كما أنه أتعب نفسه من أجل الظفر بتأويل يحمل عليه ما وقعت فيه " ما " على العالم ، وأرى أن هذا من قبيل المبالغة في التأويل ، كما أنه ربط بين لفظ " ما " ومعناها وأرى أن ما ذكره غير مطرد .

٧- أن تأويل جميع النصوص القرآنية التي استشهد بها وإن كان مقبولاً إلا أنه ليس ملزماً.

٨- أن احترام الآراء مطلب عزيز ، وآراء العلماء لا تنكر إذا خالفت آراء أخرى ، فكلٌ مجتهد ، ولكل مجتهد نصيب .

٩- أن ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله :(" ما " لما لا يعقل) غير صحيح ، كما أبان ذلك ابن حجر .

١٠- أن الإصرار على أن " ما " إنما وضعت لغير العالم هو الذي ألجأ الكثير من النحويين إلى التأويل والمبالغة فيه .

١١- أن استعمال " العالم " أولى من " العاقل " لاستعمالها فيما يعود على الباري جلّ وعلا .

١٢- أن المرجع في فهم القضية هو الكلام العربي ، وما قرره العلماء الأفاضل ، وما ينضم إلى ذلك من قرائن لفظية ومعنوية ، ودلالات حال.

وبناء على هذا جاء تأويل معظم النحويين للنصوص التي وقعت فيها " ما " على العالم ، فأدخلوها ضمن أنواع من يعقل، أو صفات من يعقل، أو اجتماع العاقل مع غيره ، أو تنزيل العاقل منزلة غير العاقل ، أو إرادة الجنس ، أوقصد

المشاكلة ، أو الإبهام ، و هذا كله فرارٌ من القول بأن " ما " يمكن أن تقع على العالم .

والذي أنتهي إليه في هذه القضية هو ما صرح به ابن مالك والرضي (ت٦٨٦هـ) و البعلي (ت ٧٠٩هـ) وغيرهم .

قال ابن مالك :" و "ما " في الغالب لما لا يعقل ، واحترزت بقولي " في الغالب " من نحو قوله تعالى:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ومن قول العرب : "سبحان ما سخركن لنا " ومجيئها لما لا يعقل كثير "[1].

فابن مالك يرى أن هناك نصوصاً اتضح فيها حمل " ما " على العالم ، واستبعد جانب التأويل فيها .

وقال الرضي :" و " مـــا " في الغالب لما لا يعقل ، وقد جاء في العـــالم قليلاً "[2].

وقال محمد البعلي :" وأما " ما " فأكثر إطلاقها على غير من يعقل وقد تطلق على من يعقل "[3].

ومن النصوص الواضحة في هذا إضافة إلى ما ذكر ابن مالك قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء / ٢٣] وقوله ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون / ٣و٥] .

وهذا هو الرأي المعتدل وإن أباه المخالفون وتأولوا النصوص بمـــا يساير آراءهم .

---

(١) شرح التسهيل ٢١٧/١ وينظر شرح الكافية الشافية ٢٧٦/١.

(٢) شرح الكافية ٥٥/٣ .

(٣) الفاخر في شرح جمل عبد القاهر ٧٧٩/٢ .

لذ نرى الآمدي يقول :" وهي وإن أطلقت على من يعقل كما في قوله :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾

[الشمس ٥-٧] .

فليس حقيقة بل مجازاً ، ويجب القول بذلك جمعاً بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم :" أما علمت أن " ما " لما لا يعقل " ، ولما فيه من موافقة المنقول عن أهل اللغة في ذلك "[1].

ويتراجع قليلاً عن هدا ويبين أن الغاية مما ذُكر من النصوص " جواز إطلاق "ما" على من يعقل ويعلم ، ولا يلزم من ذلك أن تكون ظاهرة فيه ، بل هي ظاهرة فيمن لا يعقل ، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى لما ذَكر ما ذَكر راداً عليه بقوله :" ما أجهلك بلغة قومك أما علمت أن " ما " لما لا يعقل و " مَن " لمن يعقل " ولا يخفي أن الجمع بين الأمرين والتوفيق بين الأدلة أولى من تعطيل قول النبي صلى الله عليه وسلم "[2].

وقد سبق بيان عدم صحة الحديث الذي يعول عليه الآمدي ، وإذا لم يكن الحديث صحيحاً فلا إشكال ، ولا تعارض ، ولا تعطيل .

ونرى ابن عصفور(ت ٦٦٩هـ) يستبعد وقوع " ما " على آحاد من يعقل من المذكرين والمؤنثات في النصوص التي يوردها المجيزون فيقول :" وهذا كله لا حجة فيه لاحتمال أن تكون " ما " مصدرية "[3].

ثم يسوق اعتراضاً فيقول :" فإن قيل : إن حمل هذه الآيات على ما ذكرت لا يجوز لأن في " طحا " و " بنى " و " سوى " مضمر فاعلها ، وليس للضمير ما يعود عليه إلا " ما " وإذا كانت كذلك تبين أنها ليست بمصدرية ؛ لأن

---

(١) الإحكام ١٩٣/٢.

(٢) المرجع نفسه ٣٤/٣.

(٣) شرح الجمل ١٧٤/١ .

المصدرية حرف[1] ، والضمير إنما يعود على الاسم فالجواب : إن الضمير يعود على اسم الله تعالى وإن لم يتقدم ذكره لأنه قد عُلم أن طاحي الأرض ، وباني السماء ، ومسوّي الأرض ، إنما هو الله ، فيكون من قبيل الضمير الذي يفسره ما يفهم من سياق الكلام "[2].

أرأيت هذا التكلف والمبالغة في التأويل؟!

فإذا كان الضمير يعود على اسم الله تعالى فلماذا لا تكون " ما " بمعنى " مَن " وتطلق على العالِم وإن لم تكن أصلاً فيه ؟!

أضف إلى ذلك أنه بالمقارنة بين اللغات السامية اتضح أن كلاً من " مَن " و " ما" يعودان إلى أصل أحادي الحرف ، هو الميم، وأن الأداتين " مَن " و " ما " كانتا تدلان على معنى واحد دون تفريق بين العالِم وغيره ، ثم أخذت اللغات السامية تتوسع بأصل هاتين المادتين بنيةً ومعنىً ، فخصت " مَن " بالعالم و "ما " بغير العالم ، وظلت استعمالات من مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: الآية٢٢] شواهد من آثار مرحلة ما قبل اقتسام المعنى بين هاتين الأداتين .[3]

وابن قتيبة يشير إلى شيء من هذا بقوله : " ما" و"مَن" أصلهما واحد فجعلت " مَن " للناس و " ما " لغير الناس ".[4]

---

(١) هذا عند البصريين ، وذهب الأخفش وبعض الكوفيين إلى القول باسميتها ، ينظر رصف المباني ص٣٨١.

(٢) شرح الجمل ١/١٧٤.

(٣) ينظر : بحوث في الاستشراق واللغة ص٢٨و٢٩.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٥٣٣.

ملخص البحث :

هذا البحث يدرس مسألة إمكان إطلاق " ما " الموصولة على " العالم " ولا خلاف بين أهل اللغة في أن " ما " في أصل وضعها إنما وضعت لغير العالم في مقابل " مَن " التي للعالم .

ولقد تباينت آراء النحويين في هذه المسألة فمنهم من يرى أن " ما " لا تخرج عما وضعت له من الإبهام ، وإن خرجت لجئ إلى التأويل ، ونسب أبو حيان هذا إلى أصحابه البصريين .

ومنهم من يرى تفسيرها بما وضعت له ، أو يحملها على معنى " مَن " أو على المصدرية كالفراء وأبي عبيدة ومكي وغيرهم .

ومنهم يرى أنها لا تقع بمعنى " مَن " إلا في شذوذ ، وهو أبو جعفر النحاس

ومنهم من بالغ في البحث عن التأويل ، وظهر هذا جلياً عند ابن جني والسهيلي والدماميني .

ومنهم من وضع معايير لاستعمالها بمعنى " مَن " ومن تلك المعايير إرادة الجنس، أو الصفة ، أو اختلاط العالم بغيره ، أو إرادة أنواع من يعقل ، أو الحمل على المقابلة والمشاكلة ، أو الإبهام ومنهم : المبرد وابن السراج والفارسي وابن جني وابن مالك وابن هشام وغيرهم .

ومنهم من يستنتج من كلامه جواز وقوع " ما " على العالم قليلاً كابن مالك والرضي والبعلي ، ونسب أبو حيان هذا إلى أبي عبيدة وابن درستويه ومكي وابن خروف .

وابن خروف نسب القول بهذا إلى سيبويه والمحققين .

ومع تباين الآراء يميل الباحث إلى رأي ابن مالك ومن وافقه ، فهو الرأي الوسط الذي لم يخرج " ما " عن أصل وضعها و لم يبالغ في التأويلات .

قائمة المراجع :

١- **الإحكام في أصول الأحكام** للآمدي ، تحقيق : أحد الأفاضل ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة ١٣٨٧هـ .

٢- **ارتشاف الضرب من لسان العرب** لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق د: مصطفى النماس (ط — ١) ١٤٠٨هـ مطبعة المدني .

٣- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** لأبي السعود ، تحقيق : عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة .

٤- **أسباب النزول** للواحدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (ط — ١) ، ١٤٠٢هـ .

٥- **الأصول في النحو** لابن السراج ، تحقيق د: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ،(ط — ١) ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٦- **إعراب القرآن** لأبي جعفر النحاس ، تحقيق د: زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني بغداد ، ١٣٩٧هـ .

٧- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** لابن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل ، (ط- ٥) ، ١٣٩٩هـ .

٨- **بحوث في الاستشراق واللغة** تأليف أ.د: إسماعيل أحمد عمايرة دار البشير ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (ط — ١) ١٤١٧هـ -١٩٩٦م .

٩- **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة ، عناية : السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ، (ط — ٣) ،١٤٠١هـ .

١٠- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل** لأبي حيان ، تحقيق د: حسن هنداوي ، دار القلم ،دمشق ، (ط — ١) ، ١٤٢٢هـ .

١١- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** لابن مالك ، تحقيق : محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، مصر ،١٣٨٧هـ .

١٢- **تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد** للدماميني ، تحقيق د: محمد المفدى (ط — ١) ، ١٤٠٣هـ .

١٣- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير ، (ط — ٤) ، دار الأندلس بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م .

١٤- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** للطبري ، تحقيق د: عبد الله التركي بالتعاون مع دار الهجر (ط — ١) ١٤٢٢هـ .

١٥- **الجمل في النحو** للزجاجي ، تحقيق د: علي توفيق الحمد ، (ط — ١) مؤسسة الرسالة — بيروت ، دار الأمل الأردن ، ١٤٠٤هـ .

١٦- **حاشية الصبان على شرح الأشموني** ، دار الكتب العلمية .

١٧- **الخاطريات** لابن جني ، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، (ط — ١) ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ .

١٨- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** تأليف : محمد عبد الخالق عضيمة (ط — ١) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٩٢هـ .

١٩- **رصف المباني في شرح حروف المعاني** للمالقي ، تحقيق د: أحمد محمد الخراط ، دار القلم دمشق ، (ط — ١) ، ١٤١٠هـ .

٢٠- **سر صناعة الإعراب** لابن جني ، دراسة وتحقيق د: حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق (ط — ١) ١٤٠٥هـ .

٢١- **سنن أبي داود** ، عناية : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الناشر : دار إحياء السنة النبوية .

٢٢- **شرح التسهيل** لابن مالك ، تحقيق د: عبد الرحمن السيد و د: محمد المختون ، هجر للطباعة والنشر ، (ط — ١) ، ١٤١٠هـ .

٢٣- **شرح جمل الزجاجي** لابن خروف ، تحقيق د: سلوى محمد عمر عرب جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ .

٢٤- **شرح الجمل** لابن عصفور ، تحقيق د: صاحب أبو جناح ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ .

٢٥- **شرح الكافية الشافية** لابن مالك ، تحقيق د: عبد المنعم هريدي ،(ط – ١) دار المأمون للتراث ، من منشورات مركز البحث العلمي – جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ .

٢٦- **شرح الكافية** للرضي ، عنايه : يوسف حسن عمر.

٢٧- **شرح المفصل** لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

٢٨- **صحيح مسلم** ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان (ط – ١) ١٤٢١هـ .

٢٩- **الفاخر في شرح جمل عبد القاهر** تأليف محمد بن أبي الفتح البعلي ، تحقيق د: ممدوح محمد خسارة ، (ط – ١) الكويت ، ١٤٢٣ هـ .

٣٠- **فتح القدير** للشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ .

٣١- **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف** لابن حجر ، بهامش الكشاف للزمخشري، دار الريان للتراث ، القاهرة (ط – ٣) ١٤٠٧ هـ.

٣٢- **الكتاب** لسيبويه ، المطبعة الأميرية ببولاق ، (ط – ١) ، ١٣١٦هـ .

٣٣- **الكشاف** للزمخشري ، عناية : مصطفى حسين أحمد ، الناشر : دار الريان للتراث ، القاهرة ، ودار الكتاب العربي ، بيروت (ط – ٣) ، ١٤٠٧هـ .

٣٤- **لسان العرب** لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

٣٥- **مجاز القرآن** لأبي عبيدة ، عناية د: محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي – مصر .

٣٦- **مجمع الأمثال** للميداني ، عناية : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار القلم بيروت .

٣٧- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** للهيثمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

٣٨- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** لابن جني ، تحقيق: علي النجدي ناصف و د: عبدالفتاح شلبي ، دار سزكين للطباعة والنشر (ط – ٢) ١٤٠٦هـ .

٣٩- **المسائل المشكلة " البغداديات "** لأبي علي الفارسي ، تحقيق : صلاح الدين عبد الله السنكاوي ، مطبعة العاني ، بغداد .

٤٠- **مسند الإمام أحمد**، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ .

٤١- **مشكل إعراب القرآن** لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : ياسين محمد السواس دار المأمون للتراث ، دمشق

٤٢- **معالم التنزيل** للبغوي ، عناية : محمد النمر وزميله ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، (ط – ٤) ، ١٤١٧هـ .

٤٣- **معاني القرآن** للفراء، عالم الكتب ، بيروت ، (ط – ٢) ، ١٩٨٠م .

٤٤- **معاني القرآن** للأخفش ،تحقيق د: هدى قراعة ، (ط – ١) ، مطبعة المدني، القاهرة ، ١٤١١هـ .

٤٥- **معاني القرآن وإعرابه** للزجاج ، تحقيق : عبد الجليل شلبي، (ط – ١) عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

٤٦- **المعجم الكبير** للطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، (ط – ٢) .

٤٧- **المقتضب** للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمه، عالم الكتب بيروت .

٤٨- **نتائج الفكر في النحو** للسهيلي ، تحقيق د: محمد إبراهيم البنّا ، دار الرياض للنشر والتوزيع .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی